المحاضرة الأولى

الثورة الفرنسية

تفجرت الثورة الفرنسية سنة 1789، نتيجة مجموعة من العوامل التي تراكمت وادت إلى اندلاعها في النهاية، وتعتبر هذه الثورة من أهم الثورات في التاريخ الأوربي المعاصر ؛ حيث جاءت بمفاهيم جديدة ؛ أثرت في المبادئ والنظم السياسية والاقتصادية وأجرت تحولات سياسية واجتماعية كبرى في التاريخ السياسي والثقافي لفرنسا وأوروبا بوجه عام. ابتدأت الثورة عام 1789 وانتهت تقريباً عام 1799. وقد عملت حكومات الثورة الفرنسية على إلغاء الملكية المطلقة، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الارستقراطية، ونفوذ رجال الدين .

1. دوافع الثورة وتطوراتها

أ –الأسباب غير المباشرة:

أولاً: العامل السياسي

ويتمثل بالنظام السياسي السيئ جدا والمتمثل بالحكم الملكي المطلق المستبد، واستغلال إرادة الملك من قبل حاشيته وزوجته وكبار النبلاء ورجال الدين وغير ذلك من أفراد القصر الملكي، بحيث أصبح الناس غير آمنين على حياتهم. فمنذ النصف الثاني من القرن السابع عشر (عصر لويس الرابع عشر)، ساد الحكم الملكي المطلق المستند للحق الإلهي او ما عرف بنظرية الحكم الالهي للملوك في فرنسا، وكان لويس الرابع عشر يقول الدولة أنا، وامتدت هذه الفكرة الى خلفائه فكان نظام الحكم في فرنسا قبل الثورة استبداديا مطلقا وقد عرف لويس السادس عشر الذي عاصر الثورة (1774–1793) بضعف الشخصية وبسيطرة الحاشية عليه ورغم ذلك كان شديد التمسك بالنفوذ المطلق رافضا لكل أنواع التطوير السياسي.

ومن مساوئ الحكم المطلق التي عانت منها فرنسا الرسائل المختومة التي كان يصدرها لويس

الـ 16 للانتقام من منتقدي حكمه وكذلك إقحام البلاد في حروب لا فائدة منها سوى إشباع رغبة الملك ، وقد بلغ عدد حاشية الملك 18 ألف يتقاضون مرتبات عالية، ويعيشون حياة البذخ في القصور في حين كان غالبية الشعب يعيشون حالة من البؤس والشقاء.

أما النظام الإداري فقد اتسم بالفساد بسبب غياب الوحدة الإدارية وارتفاع الأداءات الجمركية بين المناطق وانتشار الرشوة . كل ذلك حال دون توثيق الروابط الوطنية بين مختلف جهات فرنسا وقد اتبعه من جاء بعده حتى أطاحت الثورة بالنظام الملكي المطلق في عهد لويس السادس عشر.

ثانياً: العامل الاجتماعي

كان المجتمع الفرنسيِ مقسم الى ثلاث طبقات هي طبقة النبلاء المرتبطة بالقصر والمتمتعة بكافة الامتيازات بما فيها حق الوظائف الحكومية والاعفاء من الضرائب وكانوا يطلقون على انفسهم تسمية (اصحاب الدماء الزرقاء) تمييزا لهم عن باقي الشعب ، وطبقة رجال الدين (الاكليروس) التي تمثل السلطة الدينية المرتبطة بالملك الفرنسي والتي تمتعت بحقوق وامتيازات ورثتها هي وطبقة النبلاء من عصر الاقطاع ويعيشون حياة الترف والمجون، ونتيجة لذلك كرههم الناس حيث كان عدد قليل من الشعب ينتمون إلى الطبقتين الأولى والثانية إلا أنهم كانوا يمتلكون النصيب الأكبر من الثراء والنفوذ والامتيازات.

والطبقة الاخيرة هي طبقة العامة او عامة الشعب المكونة من الفلاحين والبرجوازية الصغيرة وكانت اوسع طبقة في المجتمع اذ بلغ تعدادها آنذاك 25 مليون نسمة، الثلاث وكانت محرومة من كافة الامتيازات وتعاني من الحرمان ودفع الضرائب وأعمال السخرة وكان أبناؤها يستغلون في الحروب مما كان له اثره في نقمة المجتمع الفرنسي على السلطة السياسية والوضع الاجتماعي .

ثالثاً: العامل الاقتصادي

وهي من ابرز العوامل الرئيسية التي اججت الثورة ، فقد كانت خزينة الدولة تعاني من عجز

كبير في الموارد منذ أيام لويس الرابع عشر بسبب حروبه المتواصلة، وكذلك بسبب تمويل فرنسا لحرب الاستقلال الأمريكية، إضافة إلى إسراف بلاط الملك وامتيازات النبلاء ، وحاول لويس السادس عشر إصلاح وضع الخزينة؛ فعين خبراء ماليين لمعالجة الأزمة ومنهم (تيرجو) و(نيكر) و(كالون) إلاّ أنهم فشلوا جميعاً في مهمتهم نتيجة لمعارضة الطبقة الارستقراطية لمشاريع الإصلاح ، إضافة إلى الأزمة الاقتصادية وارتفاع الأسعار بشكل خيالي والتي أثرت على حياة الشعب الفرنسي الذي لم يكن بإمكانه شراء رغيف الخبز لا سيما خلال المجاعة التي اجتاحت فرنسا عام 1788.

رابعا: العامل الفكري:

سبق الثورة نصف قرن حافل بالتطور الفكري والثقافي في فرنسا فيما عرف بعصر التنوير، وقد أثر هذا الفكر على قيام الثورة بكشفه للأوضاع المتردية التي كانت تعيشها فرنسا وكان معظم النقد موجه للكنيسة والحكومة ومساوئهما، ويُعتبر كل من فولتير ومونتسيكيو وروسو من أبرز الرواد لهذه الحركة الفكرية ، فقد ايقظت افكار فولتيير الطبقات المظلومة وتقبل الناس بسرعة اسلوبه الساخر ونقده اللاذع ولغته الواضحة ، اما مونتسيكيو 1689-1755م فقد كتب عن العدالة والدستور وضرورة فصل السلطات الثلاث (التنفيذية والتشريعية والقضائية)متأثرا بالدستور الانكليزي ، وبالنسبة ل جان جاك روسو 1712-1778م فقد بقيت كتاباته تؤثر في الفرنسيين من جيل الى جيل حيث عرف روسو الحكومة بانها عقد اجتماعي يضمن للشعب حمايته ويقوم بموافقة الشعب والحاكم هنا يحكم بصفته وكيلاً عن الأمة، وعليه أن يلتزم بما تريده الأمة، وإذا انحرف عن ذلك عُزل من منصبه، ومن ثمّ فإن روسو ينكر أن يكون هناك حاكم يستمد سلطاته من مصدر غير الأمة.

الدوافع المباشرة للثورة الفرنسية

اجتماع مجلس طبقات الأمة:

بعد أن ساءت الأحوال الاقتصادية، وزادت الضرائب المفروضة قرر الملك عقد مجلس طبقات

الأمة والذي كان يجتمع في حالة الأزمات الشديدة في (5 ماي 1789م) وهو ما أرادته الطبقة الأرستقراطية لمنع محاولات الإصلاح . فقد كانت التقاليد تقضي بأن يتألف المجلس من ثلاث هيئات منتخبة تمثل إحداها "الإكليروس" (الملك– الكنيسة)، وتمثل الثانية "النبلاء"، والثالثة تمثل "الشعب". وكان الاقتراع يتم على هيئة ثلاث وحدات منفصلة وليس طبقًا لعدد الأعضاء. وحيث كانت طبقة رجال الكنيسة خاضعة لسيطرة النبلاء الذين يتقلدون المناصب الرفيعة في الكنيسة لقاء الخدمات التي يقدمونها، فقد كانت الطبقتان الأوليان على يقين دائم من الحصول على أغلبية الأصوات، وبالتالي يقوم أبناء الطبقة الثالثة –الشعب– بتحمل عبء الضرائب المفروضة وحدهم. وقد فطن أبناء هذه الطبقة لهذا الأمر، وطالبوا بأن يكون التصويت في المجلس طبقًا لعدد الأعضاء لا طبقًا للطبقة، ثم طالبوا بأن يكون للمجلس السلطة في تنفيذ المشاريع. ثم أعلن قادة الطبقة العامة العصيان والاعتصام في احد ملاعب التنس القريبة من قصر فرساي لحين تنفيذ مطالبهم وأطلقوا على أنفسهم)الجمعية الوطنية) وقرروا وضع دستور للبلاد لا سيما بعد أن انضم لهم البعض من أبناء طبقتي النبلاء ورجال الدين.

كان لهذه التطورات وخوف لويس السادس عشر واستدعاءه بعض فرق الجيش لحماية مقره والبذخ والإسراف الذي ظهر في حفل استقبال هذه القوات رغم المجاعة التي كان يعاني منها الشعب اثره في تأجيج الشارع والخوف من وجود مؤامرة ملكية ضد الجمعية الوطنية، فاندلعت ثورة شعبية في باريس وفي 14 جويلية 1789 هاجمت الجماهير الثائرة مخازن السلاح واستولوا على ما بها ثم هاجموا سجن الباستيل الرهيب والذي كان ينظر إليه كرمز للسلطة الملكية في البلاد. وبعد عدة ساعات من القتال، ومعركة حامية أبيد فيها حراس السجن عن آخرهم ،سقط السجن في يد الثوار الذين قاموا بتخريبه وإطلاق سراح من كان به من المسجونين ، وأمام هذه الثورة العارمة تراجع الملك واعترف بالجمعية الوطنية ووافق على رفع علم الثورة المثلث الألوان، وأصبح هذا اليوم عيد فرنسا .

الجمعية الوطنية 1789–1791

وجهت الجمعية الوطنية في الوقت نفسه جهودها لوضع دستور فرنسا ، والبحث عن الوسائل الكفيلة بوقف تيار الفوضى وامتصاص نقمة الشارع فكان من ابرز أعمال الجمعية إعلان لائحة حقوق الإنسان في 4 أوت 1789 التي حاول الملك رفضها الا انه جوبه بمقاومة عنيفة من الشعب، وكذلك عملت على إلغاء الحقوق الإقطاعية ,وتوزيع الضرائب بالتساوي بين أفراد الشعب ودون تمييز طبقي ، وتأميم أموال الكنيسة وأراضيها باعتبارها ملكا للشعب وأصدرت دستورا خاصا برجال الدين وهو الأمر الذي أزعج لويس 16 باعتباره متدينا فهرب إلى شمال البلاد، آملا في العودة مع الجيش الملكي الموجود هناك وبالتنسيق مع النبلاء المهاجرين خارج فرنسا إلا انه اكتشف أمره وأعيد مع عائلته إلى باريس، وفي مطلع شهر سبتمبر , انتهت الجمعية الوطنية من مهمة صياغة الدستور التي كرست نفسها من اجلها في أيام الثورة الأولى وهي إعطاء فرنسا دستوراً ديمقراطيا يضمن الحريات العامة ويوزع السلطات توزيعاً عادلاً.

وقد أقرت الجمعية هذا الدستور في 3 سبتمبر 1791 وأكد الدستور مبدأ فصل السلطات ، أي فصل السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية وأبقى على النظام الملكي مع تحديد سلطات لويس 16 ثم أعلنت الجمعية عن حل نفسها وإجراء انتخابات جديدة.

الجمعية التشريعية:1791-1792

عقدت الجمعية التشريعية أولى جلساتها. وكانت أولى مهماتها تنفيذ مواد الدستور وحماية نتائج الثورة وقد تكونت الجمعية من عدة قوى سياسية منها قوى اليمين وهم من النبلاء ذوي الاتجاه التحرري الذي يؤمن بالملكية الدستورية وقوى الوسط وهم الأكثرية التي تؤمن بالثورة والدستور وقوى اليسار وهم الجيروندیون(نسبة لمقاطعة جيروند) واليعاقبة (نسبة لدير يعقوب) وهم يؤمنون بالنظام الجمهوري والى جانب هذه القوى كانت هناك قوى معادية للثورة خارج الجمعية تتكون من المهاجرين والنبلاء ويقف معهم أباطرة أوربا الذين وجدوا في شعارات الثورة خطرا على عروشهم فكان على الجمعية ترك كل شئ ومواجهة الخطر الخارجي الذي ظهرت بوادره بإعلان (بلنتز) الذي أصدره إمبراطور النمسا وملك بروسيا وأبديا فيه رغبتهما بإعادة النظام

إلى فرنسا والقضاء على الثورة.

في أفريل 1789م أعلنت فرنسا الحرب على النمسا ودخلت جيوشها بلجيكا ، إلا أن الفرنسيين هزموا أمام النمساويين ثم هددت جيوش النمسا وبروسيا العاصمة باريس فانتفض الشعب الفرنسي بكل حماس لحماية ثورته واخذ الشباب يتدفق للتطوع في الجيش حتى تمكن القوات الفرنسية بقيادة ديموريه من تحقيق الانتصار وصد قوات النمسا وبروسيا في معركة فالمي.

المؤتمر الوطني 1792-1795

بعد وصول أنباء انتصارات فرنسية في فالمي أنهت الجمعية التشريعية أعمالها , وحل محلها المؤتمر الوطني الذي كانت أعماله إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية ثم محاكمة لويس السادس عشر وإعدامه في جانفي 1793م ، ثم أعلن المؤتمر عن استعداد فرنسا لمساعدة كل أمة تطالب بحريتها وتريد التخلص من حكامها ، وهو الأمر الذي أثار الدول الأوربية التي رأت في ذلك تهديد لأنظمة الحكم فيها ،لاسيما بعد أعلنت فرنسا تبنيها نظرية الحدود الطبيعية، لذا أعلنت الدول الأوربية عن تشكيل التحالف الأوربي الأول ضد فرنسا ، الذي تكون من: بريطانيا ، النمسا ، بروسيا، هولندا، اسبانيا والبرتغال ، وسردينا.

وقد تمكن هذا التحالف من الحاق الجيوش الفرنسية ، وصاحب ذلك تمردات وعصيان داخلي قاده أنصار الملكية ، مما تطلب من قادة الثورة اتخاذ موقف صلب لمواجهة هذه التحديات وظهر ما أطلق عليه (عهد الإرهاب) ورغم ما قيل عن هذا العهد إلا أنه أنقذ فرنسا من أخطار داخلية وخارجية كان من الممكن من أن تؤدي الى انهيار الجمهورية.

كما أن المؤتمر أنجز الكثير من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية فقد وضع القانون المدني الفرنسي وقام بإنشاء المدارس وتأسيس متحف اللوفر وضع نظام جديد للمكاييل والمقاييس وهو النظام العشري ، وعمل على سن الدستور وأنجز أواخر 1795م وعرف بدستور العام الثالث للجمهورية .كما جرت محاوله انقلابية فاشلة قادها أنصار الملكية لمهاجمة مقر المؤتمر الوطني إلا أن تدخل نابليون بونابرت الذي كان ضابطا شابا في المدفعية ، وبمهارته

وخبرته العسكرية استطاع إفشال هذه المؤامرة فتم ترقيته على إثرها إلى قائد للجيوش الداخلية.

نتائج الثورة الفرنسية:

جاءت الثورة بنتائج آنية وأخرى على المدى الطويل كما أن نتائجها لم تقتصر على فرنسا بل عبرت الحدود إلى دول أخرى استنارت بقبس الثورة الفرنسية وما حققه الشعب الفرنسي خلالها من انجازات وأهمها:

أولا: ظهور نظام جمهوري بشكل عصري حديث يختلف عن أشكال النظم الجمهورية التي سبقته وانتشر هذا الشكل بين دول العالم وانتهى معه عهد الملكية المطلقة.

ثانيا: كتابة أول دستور للبلاد أقر بفصل السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية مما يحجم ويقلل من إمكانية هيمنة سلطة على السلطات الأخرى رغم الانقلابات اللاحقة على الدستور الفرنسي ، كما أقر الدستور بفصل الدين عن الدولة ومبادئ سامية لم يسبقه لها دستور آخر من قبيل المساواة وحرية التعبير عن الرأي والتفكير وعدم التمييز بين المواطنين بسبب الدين.

ثالثا: تحررت السياسة الفرنسية من سلطة الكنيسة ورجال الدين كما ألغيت امتيازات النبلاء ورجال الدين هؤلاء وهو الأمر الذي استغلته البرجوازية المتوسطة للصعود خصوصا وأن من نتاجات هذه الثورة هو تحرر النظام الاقتصادي للدولة ويتجه نحو الرأسمالية والاقتصاد الحر.

رابعا: جاءت بمفاهيم جديدة وأحيت أخرى مثل الحرية الفردية والعدالة الاجتماعية والتعليم المجاني واعتماد اللغة الفرنسية كلغة رسمية للدولة بأكملها مما أوجد لاحقا عاملا من عوامل الوحدة.

خامسا : يحدد كثير من المختصين السياسيين تأريخ الثورة الفرنسية كتأريخ لنشوء الدول القومية الحديثة التي تمثل الأنظمة فيها إرادة شعوبها ورغم التعثر الذي أصاب مسار هذه الثورة والعقبات التي اعترتها لكنها دقت ناقوس الخطر ولحظة انطلاق زلزلت عروش ملوك أوروبا المستبدين مما جعلهم يناصبون العداء لهذه الثورة ويحاولون إجهاضها وفعلا نجحوا بإعادة

الملكية لكن لمدة قصيرة فإرادة كل حكام أوروبا لم تستطع الحيلولة دون تحرر الشعب الفرنسي وقلب العروش على أصحابها لا بل أن الثورة الفرنسية امتد تأثيرها خارجا فإن لم تطح بالملوك فقد أطاحت بسلطتهم المطلقة وصلاحياتهم وأصبحوا مجرد حكام شكليين وتمكنت الشعوب من أن تحكم نفسها بنفسها.

مرحلة حكومة الإدارة وظهور نابليون بونابرت

حكومة الإدارة 1795م Le Directoire

بعد أن أجريت الانتخابات وفق الدستور الجديد انفض المؤتمر الوطني لتحل محله حكومة الإدارة وتكونت هذه الحكومة من خمسة أعضاء يتم انتخابهم من المجلس النيابي ، و بدأت حكومة الإدارة عهدها بالإعلان عن برنامج شددت فيه على التزامها بالنظام الجمهوري وإنعاش الروح الوطنية والقضاء على التعصب لحزب معين ، والوقوف بشدة وحزم بوجه أثارة الاضطرابات.

كان على هذه الحكومة أن تعالج الحالة الاقتصادية المتدهورة وأن تحصل على النصر النهائي في حروبها الخارجية واختارت نابليون لقيادة أحد جيوشها الثلاث ، فتمكن من هزيمة الجيوش النمساوية والايطالية وحقق انتصارات باهرة عليها حتى اضطرت النمسا إلى طلب الصلح.

وخلال هذه المدة مرت فرنسا بأزمات سياسية بين حكومة الإدارة والمجلس التشريعي لاسيما بعد وصول أنصار الملكية والكاثوليكية إلى هذا المجلس فوجدت حكومة الإدارة أن القوة هي السبيل الوحيد لإنهاء هذه الأزمة لصالحها وكان نابليون المنتصر في ايطاليا على استعداد لإمداد حكومة الإدارة بالقوة اللازمة ضد السلطة التشريعية ، فأرسل أحد ضباطه على رأس قوة عسكرية إلى باريس في أوت 1797م وقامت بانقلاب ضمن لحكومة الإدارة بموجبه السيطرة على الموقف ومنع الملكيين من القيام بأي عملية انقلابية ضد حكومة الإدارة.

أدت هذه العملية لأن يصبح نابليون رجل الساعة وسيد الموقف في فرنسا ثم حقق نابليون انتصاراً نهائياً على النمسا بعد أن تقدم إلى جبال الألب مهدداً فيينا في أوائل عام 1797م،

وفي 17 أكتوبر من العام نفسه وقّعت فرنسا معاهدة (كامبوفورميو)، التي بموجبها توسعت أراضي فرنسا، وعاد نابليون إلى باريس فاستقبل استقبال الأبطال. بقيت بريطانيا وحدها شاهرة السلاح بوجه فرنسا فوضع نابليون مع حكومة الإدارة خطة لضرب بريطانيا في الشرق باحتلال مصر لتهديد طريق بريطانيا إلى الهند فاحتل مصر عام 1798 ، وقد واجه عددا من المشاكل في مصر وسوريا ، لا سيما بعد تدمير الأسطول الفرنسي من قبل نظيره البريطاني في معركة أبي قير البحرية مما أدى إلى انقطاع الإمدادات عن القوات الفرنسية في مصر ، وكانت الأوضاع في فرنسا نفسها قد عادت إلى التدهور من جديد في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وانتشرت الفوضى فقرر نابليون العودة إلى فرنسا تاركا الجنرال كليبر محله في قيادة القوات الفرنسية في مصر.

المحاضرة الثانية توسعات نابوليون

إمبراطورية نابليون بونابرت

كانت الظروف التي وصل فيها نابليون إلى فرنسا من مصر شبيه بتلك التي كانت سائدة قبل تدخله لإنقاذ حكومة الإدارة بل يمكن اعتبارها امتدادا لها ، إذ عادت القوى السياسية بمختلف اتجاهاتها تهدد حكومة الإدارة وتتنافس للسيطرة على الدولة ، بينما سئم الشعب الفرنسي حالة الفوضى السائدة في المجتمع ،حيث انعدم الأمن وانتشر اللصوص والسلب في الطرقات وأصبحت المدارس بلا معلمين والمستشفيات بلا ممرضات ناهيك عن العجز المالي والتدهور الاقتصادي والخطر الخارجي المتمثل بالتحالف الأوروبي الثاني، لذلك اخذ الناس يتطلعون بعد عشر سنوات من الثورة والحرب إلى إقرار السلم وإقامة حكومة قوية .

وقد وجد بعض الساسة أن الجيش المتمثل بشخص نابليون هو الأداة التي تعيد الأمور إلى نصابها وفي مقدمة هؤلاء الأب سييز.

أما عن نابليون فقد دخل باريس فاستقبله الشعب الفرنسي بحماسة بالغة مما جعل نابليون يدرك أن الناس والسياسيون لا يعتبرونه مسؤولا عن الهزيمة في مصر ، وإنما يقع عبئ ذلك على

السلطة الحاكمة في باريس ومن هنا التقت القيادات السياسية مع نابليون ليمهدوا طريق صعوده إلى الحكم.

انقلاب 18 نوفمبر (بريمر)

مهّدت لهذا الانقلاب فكرة إقامة حكومة مستقرة ، وكان لا بد من إعادة النظر في الدستور لتحقيق ذلك ، وكان هناك رفض واضح من المجلس التشريعي وبعض أعضاء الإدارة لإجراء مثل هذا التعديل ، وقد رأى مؤيدو نابليون أن الجيش هو السبيل الوحيد لتحقيق ما يريدون فأخذوا يخططون بدقة لقلب السلطة وقاد نابليون وأعوانه السياسيون حملة إعلامية كان الهدف منها إقناع الأطراف السياسية لفكرة التعديل الدستوري ، طلب أعوان نابليون من أعضاء المجلس نقل اجتماعهم إلى خارج باريس مدّعين أن مؤامرة تحاك من قِبَلْ اليعاقبة لقلب السلطة ، وهناك تقدم نابليون ليعرض على النواب برنامجه وأهدافه لإصلاح البلاد وألقى بهذا الشأن خطابا إلا انه فوجئ بنداءات مضادة تحذر من ظهور دكتاتور جديد في شخص نابليون ، عندها طلب رئيس المجلس لوسيان شقيق نابليون من الجنود الذين طوقوا مكان الاجتماع بتفريق المعارضين بالقوة ولم يبق سوى المواليين له الذين صوتوا لصالح التعديلات الجديدة ، والتي قررت استلام السلطة من قبل 3 قناصل: (نابليون و سيز وديكو) بدلا من حكومة الإدارة.

قابل عموم الناس هذا التغيير الذي عرف بانقلاب برومير عام 1799 بهدوء تام ولم يظهر أي أسف على حكومة الإدارة الضعيفة بل أن الكثير من الفرنسيين استبشروا خيرا بالسلطة الجديدة التي يقف على رأسها نابليون معتبرين أن عهد جديدا قد بدأ في فرنسا ، إلا أن هذا لا يعني أن البعض لم يجد في ذلك بداية لعهد الدكتاتورية العسكرية.

ولإعطاء الانقلاب صفة شرعية، فقد وضع في عام 1799 دستور جديد لفرنسا نص على وضع السلطة التنفيذية بيد ثلاث قناصل ينتخبهم مجلس الشيوخ لمدة عشر سنوات. وقد انتخب المجلس ثلاث قناصل، وهم نابليون بونابرت و سييس و ديكو ، لتولي السلطة على أن يكون

نابليون القنصل الأول ومنحه سلطات واسعة، حق إعلان الحرب وعقد المعاهدات وإصدار القوانين وتعيين الوزراء وكبار الموظفين ورئاسة الجيش، أما القنصلان الآخران فكانا مساعدين له وكانت الهيئة التشريعية، طبق لدستور سنة 1799 مكونة من ثلاث مجالس، مجلس الشيوخ الذين يعينون أعضائه مدى الحياة من قبل القناصل وكانت مهمته انتخاب أعضاء المجلسين الآخرين، ومجلس التربيون الذي يتكون من مائة عضو وتكون مهمته دراسة مشروعات القوانين التي يقدمها مجلس الدولة، أما المجلس الثالث هو المجلس التشريعي الذي يتكون من ثلاثمائة عضو ومهمته التصويت على مشروعات القوانين. وبهذا الشكل المعقد من السلطة التشريعية سيطر نابليون ووزرائه على السلطة.

السياسة الخارجية لنابليون بونابرت:

ورث نابليون عن حكومة الإدارة مشاكل خارجية تتعلق بالتحالف الأوربي الثاني المكون من (بريطانيا النمسا ، روسيا ، الدولة العثمانية) وقد انسحبت روسيا من هذا التحالف بعد هزيمتها من القوات الفرنسية وكذلك أن بول الأول إمبراطور روسيا كان من المعجبين بنابليون وأصبح صديقا له.

ثم تمكن نابليون من هزيمة النمسا في معركة حاسمة في جوان 1800 وهددت قواته فينيا مما دفع بالنمسا إلى طلب الصلح مع نابليون فعقد صلح (لونفيل) عام 1801م والذي انسحبت فيه النمسا نهائيا من ايطاليا واعترفت بالجمهوريات التي أقامها نابليون فيها ، وبذلك انهار التحالف الأوربي الثاني ولم يبق صامداً أمام نابليون سوى بريطانيا ، وكان نابليون يدرك استحالة الانتصار على لبريطانيا ما دامت السيادة للأسطول البريطاني في البحر لذا قرر فرض حصار بحري على بريطانيا بمساعدة حلفائه الأوربيين ، فكون في ديسمبر 1800 حلفا ضم روسيا والدنمرك والسويد وبروسيا عرف بـ(عصبة الحياد المسلح) لتضيق الخناق على بريطانيا والإضرار بمصالحها التجارية وعزلها عن أوربا ، إلا أن هذا الحلف فشل في تحقيق أهدافه لقوة

الأسطول البريطاني من جهة ، واغتيال القيصر الروسي من جهة أخرى مما أدى إلى انفراط عقد هذا التحالف.

وعلى الرغم من فشل مشروع الحصار القاري على بريطانيا إلا أن الأوضاع الداخلية فيها أدت إلى قبولها عقد الصلح مع فرنسا والذي عرف بصلح أميان عام 1802م ، والذي اعترفت بموجبه بريطانيا بالتغيرات التي أجراها نابليون في أوربا وقد عد هذا الصلح نصر كبيرا لقنصلية نابليون لحصولها على اعتراف بريطاني بالتغيرات التي حدثت في فرنسا أثر الثورة الفرنسية.

الإمبراطورية النابليونية

ظهرت الإمبراطورية الفرنسية للوجود مع تتويج نابليون بونابرت إمبراطورا لفرنسا في الثاني من ديسمبر 1804م وقد مهدت لظهور الإمبراطورية النابليونية عوامل خارجية وداخلية هي:

أولاً :العوامل الخارجية:

1ـ عدم التزام بريطانيا ولفرنسا بصلح أميان حيث بدأ كل طرف يتصرف وفق مصالحه الخاصة دون الاهتمام بمعاهدة الصلح.

2ـ أظهرت تحركات نابليون لبريطانيا عن تصميمه لتحويل موازين القوى أوربا والشرق لصالح فرنسا حيث بدا يتطلع لترسيخ أقدام فرنسا في المستعمرات وعقده معاهدات صداقة مع دول الشرق وهو الأمر الذي رأت فيه بريطانيا تهديدا لمصالحها مما دفعها إلى معاداة فرنسا وأصبحت ملجأ لأنصار الملكية الهاربين من فرنسا.

3-رأى الشعب الفرنسي في هذه الأحداث والموقف البريطاني المعادي للثورة والمؤيد لعودة البوربون للحكم تهديدا لفرنسا ، مما دفع بالشعب إلى التفكير بتعزيز مكانة نابليون من خلال إعلانه إمبراطورا للبلاد .

العوامل الداخلية :

1-ظهور عدد من المؤامرات الداخلية المدعومة من بريطانيا للإطاحة بحكم نابليون من خلال

محاولات اغتياله.

-2كشفت هذه المؤامرات للشعب الفرنسي جسامة الخطر المحدق بفرنسا لا سيما وان عدد من القادة السياسيين والعسكريين كانوا ضالعين فيها.

-3وجد الشعب والمجلس التشريعي أن أفضل حل لقطع دابر هذه المؤامرات وتقوية النظام هو جعل الحكم وراثيا مما يفقد الملكيين كل أمل في استعادة العرش.

-4وفي اقتراح من احد أعضاء المجلس التشريعي تم إدخال المبدأ الوراثي في الحكم في عام 1804 وفي السنة نفسها منح نابليون لقب الإمبراطور وجرى تتويجه في ديسمبر 1804 من قبل البابا بيوس الثاني عشر.

.4سقوط نابليون

حروب الإمبراطورية النابليونية:

لم يستمر صلح أميان بين فرنسا وبريطانيا طويلا وأخذت العلاقة بينهما تزداد سوءا لاسيما بعد احتلال فرنسا لبعض الموانئ ذات الاهمية التجارية لبريطانيا في هولندا وايطاليا وسواحل هانوفر ، واخذ نابليون يعد العدة لغزو الجزيرة البريطانية وكانت خطته تقوم على اساس ابعاد الاسطول البريطاني والقيام بأنزال سريع على الشواطئ البريطانية بعد ان يقوم الاسطولان الفرنسي والاسباني باستدراج الاسطول البريطاني بعيدا عن الساحل البريطانية الا ان هذه الخطة فشلت عندما انتصر الاسطول البريطاني على الاسطولين الفرنسي والاسباني في معركة (الطرف الاغر) بالقرب من السواحل الاسبانية في تشرين الاول 1805 وكانت بريطانيا قد اقنعت النمسا وروسيا بالدخول في حلف معها ضد نابليون عرف ب(التحالف الاوربي الثالث.(وقبل محاولة غزو بريطانيا، أمر نابليون جيشه المتمركز بشمال فرنسا بالزحف سرًّا على ألمانيا، فأحاط الجيش الفرنسي بالقوات النمساوية التي كانت على وشك أن تُهاجم فرنسا، قاطعًا بذلك خطوط التواصل بينها، وهزمها هزيمةً كبيرة بتاريخ 20 أكتوبر سنة 1805 في معركة" أولم ."

وبعد ستة أسابيع من هذه الحادثة، وفي اليوم الذي يوافق الذكرى الأولى لتربع بونابرت على العرش، هزم الجيش الفرنسي الجيشين النمساوي والروسي في واحدة من اشهر معارك التاريخ "معركة أوسترليتز". كانت نتيجة هذا الانتصار أن انتهت حرب التحالف الثالث، فأمر نابليون عند ذلك بالبدء ببناء قوس النصر في وسط مدينة باريس لتخليد ذكرى هذا النصر، ثم توجه إلى مدينة ؟بينا عاصمة النمسا، وفرض عليها شروطًا قاسية للصلح. اضطرت النمسا إلى أن تتنازل عن المزيد من الأراضي لصالح فرنسا، وأن توقع على معاهدة سلام پراسبورغ التي قضت نهائيًا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأدّت لولادة "اتحاد الراين الذي سُمي نابليون "مرشدًا" و"حاميًا" له.

التحالف الاوربي الرابع

تشكل التحالف الرابع لمحاربة فرنسا في سنة 1806، بعد هزيمة النمسا وروسيا في معركة أوسترليتز، وضمّ كل من:(بروسيا، روسيا، بريطانيا، ساكسونيا، السويد، وصقلية) وفي ذات السنة وقع خلاف بين نابليون وبروسيا، فتقدمت الجيوش الفرنسية بسرعة خاطفة وهزمت البروسيين في "معركة بينا" واحتلت عاصمتهم برلين، فانسحب "فريدريك وليم الثالث" ملك بروسيا إلى ناحية الشرق كي ينضم لحليفته روسيا التي أرسلت جيشًا لنجدته..

فالتقى نابليون بالجيشين الروسي والبروسي معًا في معركة (فريدلاند)، وبعد هذا النصر الحاسم، أبرم نابليون معاهدة عُرفتا باسم "معاهدة تلست" ، فاقتسم بموجب إحداها السلطة في أوروبا مع القيصر الروسي "ألكسندر الأول"؛ أما الثانية التي أُبرمت مع بروسيا، فقد اقتطع جزء من اراضيها وفرض عليها تعويضات حربية باهظة وهكذا انتهى التحالف الأوربي الرابع.

اما اهم اسباب انتصار نابليون في معاركه امام الجيوش الأوربية فيمكن اجمالها بما يلي:

-1ضعف التحالفات الأوربية نتيجة الخلافات السياسية بين الدول الأوربية

-2عدم وجود قيادة موحدة عسكرية للجيوش المتحالفة

-3ايمان الجيش الفرنسي بانه يحمل رسالة سامية فضلا عن تناسقه وانضباطه العالي

-4قوة الجبهة الداخلية في فرنسا.

-5كان لذكاء نابليون وقدراته ومهارته العسكرية الفائقة وشعبيته الواسعة اثر كبير في الانتصارات الفرنسية.

الحصار القاري

لمّا أخضع نابليون أوروبا كلها تقريبًا لسيطرته وعجز عن بريطانيا، عمد إلى محاربتها اقتصاديًا. فحرّم على جميع الدول الأوروبية المتاجرة معها، عن طريق إصداره ل(مرسوم برلين)، حرم بموجبه جميع أعمال التجارة كالاستيراد والتصدير مع بريطانيا كما حرم على السفن البريطانية الرسو في الموانئ الاوربية وستصادر بضائعها واعلنت كل من روسيا وبروسيا والنمسا والسويد والدنمارك التزامها بمراسيم الحصار القاري. إلا أن هذه الحرب الاقتصادية لم يُكتب لها النجاح، إذ أن بريطانيا ردّت عليه بالمثل، فمنعت المتاجرة مع فرنسا، وضربت حصارًا على القارة الأوروبية، كذلك نشطت أعمال التهريب من وإلى بريطانيا، ولم يستطع ضبّاط الجمارك الفرنسيون أن يفعلوا شيءًا لإيقافها، كما واجهت نابليون مشكلة عدم التزام بعض الدول الاوربية بالحصار ومنها البرتغال التي قرر نابليون مهاجمتها بالاتفاق مع اسبانيا فاحتلها بسهولة ثم قرر احتلال اسبانيا ايضا فابقى جيشه فيها بحجة الحلف القائم بين الدولتين، وأجبر ملكها "كارلوس الرابع" على التنازل عن العرش، وتوّج أخاه "جوزيف" ملكًا عليها في سنة 1808 الا ان هذه المسالة كانت بداية النهاية لنابليون فقد ثار عليه الشعب الاسباني الذي حصل على مساعدة بريطانيا ومن ثم تبعه شعب البرتغال في الثورة المسلحة وتمكن الثوار من تحقيق الانتصارات على القوات الفرنسية وكانت هذه الانتفاضة بداية لانتفاضات قومية في جميع انحاء اوربا ضد نابليون ادت الى فشل الحصار القاري.

عوامل الضعف في امبراطورية نابليون وسقوطها:

-1بدايات الضعف

كانت معركة بايلن التي انهزم فيها الفرنسيون امام المقاومة الاسبانية في تموز 1808 وخروجهم من العاصمة مدريد تمثل الصدع الاول في امبراطورية نابليون حيث كان لها صدى واسع في اوربا شجع الدول الاوربية على التخلص من حكم نابليون.

فعندما كان نابليون منهمكًا في إخضاع الثورة الإسبانية، قامت النمسا فجأة بفض تحالفها مع فرنسا وبدعم من بريطانيا بعد ان تحالفت معها في التحالف الاوربي الخامس ، وذلك في شهر أبريل من عام 1809، وهبت للانقضاض على بونابرت بتحريض من بريطانيا، فاضطر نابليون إلى أن يترك إسبانيا ويقود الجيش الفرنسي ليقهر الجيش النمساوي في "معركة وگرام". توجه نابليون بعد انتصاره إلى مدينة ؟بينا، عاصمة النمسا، حيث أملى شروط الصلح ووقع مع النمساويين "معاهدة فيينا" في تشرين اول 1809، التي قضت بسلخ أجزاء مهمة أخرى من الإمبراطورية النمساوية المجرية وكانت انتصارات نابليون هذه المرة غاية في الصعوبة ولم يتمكنمن التوغل في النمسا.

كما ان تذمر الشعوب الاوربية من الضائقة الاقتصادية التي كانت تعيشها نتيجة الحصار القاري ،فضلا عن مطالبات نابليون بالأموال اللازمة لحملاته العسكرية ، دفعها للتحرك من اجل التخلص من قيود ذلك الحصار.

-2حملة روسيا ومعركة الامم:

بدأت العلاقات تتدهور بين نابليون وقيصر روسيا الكسندر الاول لأسباب منها عدم ايفاء نابليون بوعوده للقيصر الروسي بتحقيق مطامعه بالسيطرة على الاستانة ومضائق البسفور والدردنيل للوصول الى المياه الدافئة وكذلك فان الحصار القاري قد اضر بروسيا كثيرا باعتبارها بلدا زراعيا وبحاجة الى المواد الصناعية فاضطر القيصر الى السماح بدخول البضائع الانكليزية عام 1811فاعتبر نابليون ذلك عملا عدائيا وخروجا على صلح تلست ثم طالب القيصر من نابليون بالتخلي عن تنظيماته في المانيا (اتحاد الراين) وان يجلو بجيوشه عن بروسيا فكان رد نابليون ان هيأ جيشا تعداده 700000مقاتل من مختلف القوميات

الاوربية لغزو روسيا عام 1812 فانتصر على الجيش الروسي في معركة سمولنسك وانسحب الروس الى داخل اراضيهم الواسعة وتبعهم نابليون حتى دخل موسكو فوجدها خالية من السكان وانتظر ان يعرض عليه القيصر الصلح لكنه لم يفعل وبعد شهر انسحب الجيش الفرنسي من موسكو بعد أن بلغت نابليون أنباء مقلقة عن اضطراب الأوضاع في فرنسا وخوفه من فقدان سلطته.

عانى الفرنسيون معاناة كبيرة أثناء انسحابهم وذاقوا الأمرّين، إذ تعاون برد الشتاء الروسي القارس حليف روسيا الصامد والمرض وهجمات الفلاحين القوقاز عليهم على إفناء الجيش فلم يسلم منه إلا عدد قليل حيث لم يصل منهم الا 100000 جندي.

ثم شكلت الدول الاوربية تحافا جديد ضد نابليون عرف (بالتحالف الاوربي الخامس) وتكون (من بريطانيا روسيا وبروسيا النمسا) وقد واجه نابليون هذا التحالف بقوات قليلة الخبرة لان أغلبها كانوا شبابا صغار السن.

وفي تشرين الاول 1813م ، وقعت معركة (لا يبزك) أو ما يعرف بمعركة الامم ودامت اربعة ايام وانتهت بهزيمة نابليون وتراجعه الى داخل حدود فرنسا القديمة فتواصلت الجيوش الاوربية تقدمها واحتلت باريس في آذار 1814م حيث أعلن نابليون عن تنازله عن العرش وسافر الى جزيرة البا.

ثم عقدت معاهدة باريس الاولى في أيار 1814م والتي تم فيها أعادة النظام الملكي الى فرنسا بزعامة لويس الثاني عشر ولم تكن شروط هذه المعاهدة قاسية لان الحلفاء لم يرغبوا بإثارة الشعب الفرنسي ضد ال بوربون.

ولم يراع لويس الثامن عشر مشاعر الشعب الفرنسي وعقائده الجديدة التي أنتجتها الثورة الفرنسية أذ وضع دستورا أعلن نفسة بموجبه ملكا وفق نظرية الحق الالهي ومنح النبلاء مناصب وامتيازات كبيرة وفرض الرقابة على الصحافة واعاد علم ال بوربون الابيض.

أما في المجال الاقتصادي فقط تأزمت الامور وانتشرت البطالة وصار الشعب يتمنى عودة

نابليون وكانت الدول المنتصرة قد فشلت في التوافق في مؤتمر فينيا عام1814م ، ودب الخلاف فيما بينها فشجعت هذه الاوضاع نابليون على العودة الى فرنسا فدخل باريس في أذار 1815م وعاد الى استلام الى السلطة بعد هروب لويس السادس عشر الى بلجيكا فسارعت الدول الاوربية الى نسيان خلافاتها لتجهيز حملة عسكرية لإسقاط نابليون وقد التقت هذة القوات مع الجيش الفرنسي في معركة واترلو الفاصلة في حزيران 1815م والتي انتهت بهزيمة نابليون وانتهى عهده الى الابد بنهاية المائة اليوم الأخيرة من حكمه حيث حملته الى منفاه في جزيرة (سانت هيلانة)والتي توفي فيها 1821م.

أما الحلفاء فقد دخلوا باريس في تموز 1815 وفرضوا على فرنسا معاهدة باريس الثانية والتي نصت على أن تدفع فرنسا غرامة فرنسية واعيد جدودها الى حدود عام 1790 واعيد لويس الثامن عشر الى الحكم.

أسباب سقوط نابليون

1ـ كان نابليون شديد الاعتماد على نفسه مؤمنا بذاته ولم يكن يثق بأقرب رجاله ولاتساع إمبراطورتيه فقد كان من الصعب عليه ادارتها بأكمل وجه.

2-حمل نابيون الشعوب الخاضعة له أكثر من طاقتها حيث استنزفت حروبه الكثير من أموالها ورجالها كما أن طول فترة الحرب أدت الى تذمر الجيش الفرنسي وانعدام الحماسة لدية.

3ـ كان للحصار القاري وما أفرزه من نتائج من العوامل المهمة في سقوط نابليون.

4ـالانتفاضات القومية للشعوب القومية.

5ـ عدم أهتمام نابليون في مشاعر الشعوب وتنصيب قاربه ملوكا عليه أدى الى سخط هذه الشعوب عليه وسقوطه.

ثانيا : العلاقات الدولية بين 1815-1830

مؤتمر فيينا لسنة 1815م:

أ –الظروف الممهدة لمؤتمر فيينا: في فترة 1799 – 1814م، توسعت فرنسا بقيادة نابليون بونابرت على حساب الدول الأوربية المجاورة، فتحالفت عسكريا كل من الإمبراطورية النمساوية المجرية وبريطانيا وروسيا القيصرية وبروسيا ضد فرنسا، مما ادة الى انهزام فرنسا، وتمت بذلك الإطاحة بحكم نابليون.

ب –قرارات مؤتمر فيينا: انعقد مؤتمر فيينا وجمع الدول المنتصرة لإعادة ترتيب أوضاع القارة الأوربية ودعم الأنظمة المحافظة بها ما بين شتنبر 1814 وإلى غاية يونيو 1815م، حيث اجتمع ملوك أوربا ومعهم عشرات الوزراء والدبلوماسيين بفيينا بهدف إحقاق السلم داخل أوربا بعد الاضطرابات التي خلفتها الثورة الفرنسية والحروب النابوليونية، وقد هيمنت القوى الكبرى)بروسيا، روسيا، النمسا، بريطانيا) على أشغال المؤتمر بقيادة المستشار النمساوي مترنيخ، وكرست مقرراته المبادئ الآتية:

1. الشرعية: إعادة الأنظمة التقليدية التي كانت سائدة قبل الثورة الفرنسية.
2. التوازن الأوروبي: إعادة فرنسا إلى حدودها الدولية مقابل توسع الدول المنتصرة عليها.
3. التحالف المحافظ أو الحلف المقدس: وتألف من أربع دول هي: روسيا – بروسيا – النمسا – فرنسا.

وقد دأبت الدول الاوربية بعد فترة الحروب النابليونية الى تكوين عصبة دولية تنظم علاقات الشعوب المختلفة واقامة السلام دائم في اوربا واقامة جهاز تحكيم لمنع اسباب الحرب ولكن

هذه الجهود لم تلق الا نجاح يسير ، وقد دفع استقرار الاحوال في فرنسا وقيام انتفاضات وثورات في الدول الاوربية المتضررة من قرارات مؤتمر فيينا الى عقد سلسلة من المؤتمرات لمتابعة تطبيق قرارات مؤتمر فيينا.

الحلف المقدس 1815:

اقترح قيصر روسيا الاسكندر الاول في 26 ايلول 1815 تشكيل تحالف مقدس وفق تعاليم الدين المسيحي وان يتبادل الملوك المشورة والمعونة فيما بينهم لكن مشروع القيصر المتدين لم يلقى التاييد من باقي دول اوربا لغموض فكرة تنظيم العلاقات الدولية انذاك وقد أثارت المحالفة المقدسة دهشة رجال السياسة ورجال الدين على السواء، وعلى سبيل المثال فقد وصفها"مترنيخ" بأنها: "طبل أجوف وفيض من عواطف التقى والورع التي تجيش في صدر القيصر إسكندر"، كما وصفها "كاسلريه "وزير خارجية إنجلترا بأنها "تمثِّل خليطا.(من الصوفية والكلام الفارغ"وقد امتنعت بريطانيا عن التوقيع على وثيقة المحالفة المقدسة؛ بدعوى أن الدستور يمنع الملك أو الوصي على العرش من ذلك وبذلك قتلت الفكرة في مهدها دون ان تعمل أي فرصة لتنفيذها ، وفي المقابل فقد انضمت دول عديدة إلى المحالفة مراعاة لشعور الإسكندر، كما انضمت إليها فرنسافي محاولة للخروج من عزلتها وظهر ان قيصر روسيا قد اصدرهذا الحلف لهوى في نفسه وقدم له بمظهر ديني تصوفي مدعيا انه يريد ان يطبق المبادىء المسيحية على ما يدور في اوربا من امور سياسية بهدف خلق ضمير سياسي بين حكام القارة وان تسود روح الاخوة بينهم في اتصالاتهم ولكن وزير خارجية بريطانيا اعتبر ذلك مظهرا زائفا يكسوه لباس التصوف البراق وبذلك فشل هذا الحلف.

مؤتمر اكس لاشابيل ايلول 1818

عقدت الدول الأربع الكبرى (إنجلترا، والنمسا،، وروسيا، وبروسيا) هذا المؤتمر في ايلول عام 1818 والهدف الاساس من عقد هذا المؤتمر مناقشة العقوبات التي فرضتها معاهدة باريس

الثانية على فرنسا ذلك لانها اظهرت تقييداً لمقدرات مؤتمر فينا ورغبة واضحة في السلام وحفظ التوازن الدولي وتمسك بالنظم التقليدية الملكية كما ان لظهور أفكار ثورية مناهضة للحكم الإستبدادي القائم دفع حكام الدول الاستبدادية الى مقاومة هذه الحركات الثورية التي تهدد استقرار الأنظمة الإستبدادية القائمة،. وقد اجتمع في اكس لاشابيل (وهي احد مدن وستفاليا في المانيا) امبراطور النمسا يرافقه وزير الخارجية مترنيخ وقيصر روسيا الاسكندر الاول وفروديك وليم الثالث ملك الدولة المضيفة بروسيا وقام بتمثيل بريطانيا وزير خارجيتها كاسلريه وعن فرنسا ريشيليو رئيس وزرائها وقد وافق المندوبون عن الجلاء عن الاراضي الفرنسية قبل نهاية شهر تشرين الثاني 1818 على ان تقوم فرنسا بدفع جميع ما تبقى عليها من تعويضات وغرامات مرة واحدة.

و أهم قراراته ما يلي:

.1حل لجنة المراقبة الدولية، و سحب جيوش الحلفاء من الأراضي الفرنسية المحتلة بعد أن دفعت

فرنسا التعويضات المقررة عليها إلى الحلفاء.

.2السماح لفرنسا بالانضمام إلى الحلف الرباعي الذي تحول إلى حلف خماسي.

.3أقر المؤتمر إلغاء تجارة الرقيق و ذلك باقتراح من بريطانيا(كاسلري(

لكن رغم التحالفات والمؤتمرات التي عقدت ب هدف وضع حد للتيار الحر المتصاعد بأوربا إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل أمام رغبة الشعوب في الحرية واندلعت نتيجة تطور الوعي عدة ثورات تستهدف القضاء على الحكم الأجنبي وعلى النظام الإستبدادي.

مؤتمر تروباو (تشرين الثاني (1820

كان قيصر روسيا قد اقترح على المؤتمرين في إكس لاشابيل إنشاء تحالف أوروبي عام تُخول

بمقتضاه القوى الكبرى حقَّ التدخُّل لقمع أية ثورة تندلع في مواجهة أي من العروش الأوروبية، غير أن هذا الاقتراح قوبل بالرفض من جانب القوى الأربع الأخرى ولا سيما إنجلترا؛ حيث كان "كاسلريه" يؤكِّد دوما رفض بلاده لمبدأ التدخُّل

في الشئون الداخلية للدول الأخرى. ومع اندلاع الثورة في إسبانيا وقيام النظام الدستوري بها في يناير 1820 أصاب الخوف القيصر الروسي؛ حيث خشي إسكندر الأول من انتقال عدوى الثورة إلى بلاده لا سيما وأنها كانت تعيش في ظروف مماثلة لتلك التي كانت سائدة في إسبانيا عشية الثورة. ومن هنا فقد هب القيصر إسكندر الأول مطالبا بعقد مؤتمر يضم سائر ملوك أوروبا لاستنكار المستجدات التي شهدها الصعيد الإسباني، والمطالبة بالتدخُّل لإلغاء الدستور الإسباني ولو بقوة السلاح، غير أن "كاسلريه"أعلن – أيضا هذه المرة– رفض بلاده لمبدأ التدخُّل بالقوة في الشئون الداخلية للدول الأخرى قائلا: إنه ما من بلد ذينظام حكم نيابي يوافق على التصرف وفقًا لذلك المبدأ، وأضاف "كاسلريه" أنه يعتبر الثورة الإسبانية مسألة داخلية لا تشكِّل خطرا على البلاد الأخرى؛ وبالتالي فانه لا يرى مبررا لتأييد إنجلترا أية محاولة لقمع تلك الثورة بالقوة، كما أوضح "كاسلريه "لدبلوماسيي أوروبا أن إنجلترا تدين بأسرتها المالكة الحالية ودستورها لثورة داخلية، وبالتالي فإنها لا تستطيع أن تنكر على البلاد الأخرى هذا الحق نفسه في تغيير شكل حكوماتها.

أما بصدد الموقف النمساوي من مبدأ التدخُّل فإن"مترنيخ" كان في بداية الأمر يرفض هذا المبدأ، غير أنه عاد ووافق على المبدأ غداة اندلاع الثورة في نابولي في يوليو 1820 ، أما فرنسا فقد كانت ترفض مبدأ التدخُّل شأنها في ذلك شأن إنجلترا، وعلى ذلك فقد تعددت اجتماعات ممثلي الأوتوقراطيات الثلاث الكبرى الأخرى (النمسا – روسيا – بروسيا) حيث أسفرت هذه الاجتماعات عن عقد بروتوكول ترروباو، الذي تم التوقيع عليه في 19 تشرين ثاني1820 ، وفي حين رفضت إنجلترا التوقيع على هذا البروتوكول انضمت إليه فرنسا؛ خشية العزلة وهكذا فقد أقرت القوى الأربع الموقِّعة على بروتوكول ترروباو (النمسا – روسيا – بروسيا

– فرنسا) مبدأ التدخُّل لقمع الثورات وحماية العروش، كما اتَّفقت هذه القوى–بمقتضى البروتوكول ذاته– على استبعاد أية دولة طرف في الحلف منه إذا ما اندلعت فيها ثورة أحدثت تغييرا في نظامها السياسي الداخلي، كما أنه يحقُّ للحلفاء التدخُّل لإعادة هذه الدولة إلى حظيرة التحالف بالوسائل الودية،فإن لم تفلح هذه الوسائل في بلوغ هدفها لجأ الحلفاء إلى القوة.

مؤتمر لايباخ (جانفي 1821)

كان المؤتمرون في تروباو قد اتَّفقوا على عقد مؤتمر في ليباخ؛ بغية الاتفاق على الإجراءات الكفيلة بتنفيذ مقررات تروباو فيما يتَّصل بالمسألة الإيطالية، وبالفعل فقد عقِدَ مؤتمر لا يباخ بدءا من جانفي عام 1821 وحضره إمبراطور النمسا وقيصر روسيا و"مترنيخ" و"فرديناند الأول" ملك نابولي، حيث تم الاتفاق على إلغاء دستور نابولي، وأُنِيط بالنمسا مهمة تنفيذ هذا الإلغاء بالقوة العسكرية.

وهكذا فقد تحقق للنمسا ما كانت تصبو إليه؛ فتحت غطاء التكليف الأوروبي راح الجيش النمساوي يتدخَّل في نابولي – مع نهاية فيفري 1821 – حيث تمكَّن من إخماد الثورة الدستورية، وإعادة سلطة "فرديناند الأول"المطلَقة.

وقبل أن يختتم المؤتمرون في ليباخ أعمال مؤتمرهم استنجد بهم ملك سردينيا ضد رعاياه الثائرين؛ فسارعت النمسا بإرسال جيشها لإخماد الثورة في بيدمونت، وإعادة النظام القديم إلى سردينيا.

يبقى أن نشير إلى أن مؤتمر ليباخ قد انفض في ماي1821 حيث أصدر بيانًا ختاميا جاء فيه: "إن الهدف من التحالف الأوروبي إنما هو تأييد المعاهدات القائمة،والمحافظة على السلام العام وتحقيق سعادة الأمم،وأن التغييرات التشريعية والإدارية داخل الدول يجب أن تأتي من جانب أولئك الذين أعطاهم الله مسئولية الحكم في هذه الدول."

وهكذا يكون مؤتمر لايباخ قد أكَّد على مبدأين رئيسيين أعلن المؤتمرون تمسكهم بهما، ويتمثَّل

هذان المبدآن في:

1- مبدأ شرعية تدخُّل الكبار لإخماد الثورات الدستورية وحماية العروش داخل كافَّة الدول الأوروبية، وهو المبدأ الذي بمقتضاه سمِحَ للنمسا بإخماد الحركات الثورية الدستورية في الأراضي الإيطالية.

2- مبدأ الحق الإلهي للعروش في تقرير مصائر

الشعوب، وهو المبدأ الذي ورد بارزا في البيان الختامي لمؤتمر ليباخ، والذي جاء فيه أن أية تغييرات تشريعية أو إدارية داخل أية دولة هي بيد ملكها، وملكها وحده. ونظرا لارتباط المؤتمرين في ليباخ بهذين المبدأين فقد أعلنت الحكومة الإنجليزية استنكارها لمقررات المؤتمر، وعدم اعترافها به، وتنصلها من تبعاته.

مؤتمر فيرونا (أكتوبر 1822)

حضر هذا المؤتمر كلٌّ من إمبراطور النمسا، وقيصر روسيا، وملوك بروسيا وسردينيا ونابولي، فضلا عن "مترنيخ"، ووزير خارجية فرنسا، وممثِّلين لإنجلترا،

ولقد انصب اهتمام المؤتمر على مناقشة المسألة الإسبانية، ففي 30 أكتوبر 1822 قرر المؤتمر التدخُّل المسلَّح في شئون إسبانيا برغم رفض إنجلترا لهذا العمل، وتأكيد ممثِّليها رفض بلدهما لمبدأ التدخُّل في الشئون الداخلية للدول الأخرى.

غير أن أعضاء المؤتمر فشلوا في أن يتدخَّلوا جماعيا لإخماد الثورة الإسبانية ،وإذا ب "فرنسا" تقرر أن تتدخَّل منفردة في إسبانيا، ويعود إقدام فرنسا على هذا الإجراء إلى اعتبارات تتعلَّق بسياستها الداخلية، ذلك بأن – الملكية الفرنسية العائدة إلى العرش كانت في حاجة إلى انتصارات عسكرية لتحل صورتها في أذهان الشعب الفرنسي محلَّ صور الانتصارات النابليونية.

على أية حال فقد كان انتصار الجيش الفرنسي في إسبانيا أمرا ميسورا؛ إذ سرعان ما تمت

الإطاحة بالنظام الثوري، وإعادة الملك الإسباني إلى عرشه ، ولم يكتفِ الفرنسيون بذلك وإنما أعلنوا عزمهم على التدخُّل لإخماد الثورات في المستعمرات الإسبانية في العالم الجديد، غير أن انجلترا وقفت ل "فرنسا" بالمرصاد، وأعلن الإنجليز تصميمهم على استخدام القوة في مواجهة الجيوش الفرنسية إن هي حاولت عبور الأطلنطي، والتدخُّل في شئون أمريكا الجنوبية والحق أن هذا الموقف الإنجليزي المتشدد من فرنسا بصدد المسألة الإسبانية إنما كان يرتد إلى سببين، أولهما أن الإنجليز كانوا يرفضون مبدأ التدخُّل في الشئون الداخلية للدول الأخرى، وهو المبدأ الذي كان وزير الخارجية الإنجليزي الجديد "كاننج" أشد من سلفه المنتحر "كاسلريه"تمسكا به، أما السبب الثاني وراء الاستياء الإنجليزي من الموقف الفرنسي بصدد المسألة الإسبانية فيتمثَّل في أن مستعمرات إسبانيا في العالم الجديد كانت تربطها بإنجلترا علاقات تجارية عظيمة الشأن.

وبالإضافة إلى رفض إنجلترا فكرة تدخُّل فرنسا في المستعمرات الإسبانية كانت الولايات المتَّحدة الأمريكية قد أكَّدت – هي الأخرى– رفضها التام لتدخل أية دولة أوروبية في شئون العالم الجديد، وقد تمت صياغة هذا الموقف الأمريكي بمقتضى مبدأ "مونرو "

ثورات 1815 – 1830:

أثارت مقررات مؤتمر فيينا ردود فعل قوية من طرف الشعوب الأوربية، حيث اندلعت عدة ثورات مستلهمة من مبادئ وشعارات وأفكار الثورة الفرنسية، هدفها إسقاط مقررات هذا المؤتمر، وقد شمل المد الثوري دولا مختلفة، ابتداء من ألمانيا التي عرفت انتفاضة طلابية نادت بالحد من سلطة الملكية وطالبت بوضع دستور للبلاد سنة 1817م، والتي وجهت بالقمع العسكري، أما بإيطاليا فقد اندلعت انتفاضة جمعية الكاربوناري سنة 1820م ضد النظام والاحتلال النمساوي واجهها الجيش النمساوي، وفي نفس السنة عرفت إسبانيا تحركا للجيش الإسباني مطالبا بوضع دستور للبلاد فقمعت من طرف الجيش الفرنسي سنة 1829م، وعرفت اليونان ثورة قومية تحررية ضد النظام العثماني توجت بالحصول على الاستقلال، كما عاشت فرنسا

سنة 1830م ثورة الأيام الثلاث (ثورة بورجوازية ليبرالية ضد الملك شارل العاشر الذي انحاز للمحافظين)، هذه الثورة أجهضت بعد تحالف البورجوازية الكبرى مع الملك لويس فليب، وعرفت بلجيكا ثورة قومية تحررية ضد هولندا انتهت باستقلال وحياد بلجيكا، وأخيرا عرفت بولونيا سنة 1831م ثورة تحررية ضد الهيمنة الروسية انتهت بقمعها على يد الجيش القيصري.

ثورات أوربا 1848م (ربيع الشعوب)

انطلقت ثورات شعوب أوربا لسنة 1848م من باريس (فرنسا) إلى روما وفيينا، ومن هذه الأخيرة امتدت إلى شمال ايطاليا وألمانيا وإلى القوميات الخاضعة للحكم النمساوي، فبفرنسا أدت الأزمة الاقتصادية ورفض الحكومة لإصلاح نظام الانتخابات إلى صراع سياسي بين الأحزاب فتم إسقاط حكم لويس فليب وإعلان الإمبراطورية سنة 1851م، وبإيطاليا أعلن النظام الجمهوري بروما وطردت القوات النمساوية من المدن التي كانت تحتلها والتي طبقت بها دساتير محلية إلا أن النمسا قمعت هذه الثورات، كما تدخلت فرنسا لإعادة البابا لروما، أما بألمانيا كانت للثورة مطالب قومية (توحيد البلاد)، لكنها فشلت بسبب رفض ملك بروسيا الانضمام إليها خوفا من الاصطدام مع النمسا وروسيا، وبالنمسا قامت الثورة كرد فعل على استبداد ميترنيخ، وحققت بعض المكاسب لكنها قمعت بشدة.